

المؤتمر الدولي الموسوم حول "سيكولوجيا الطفولة والابداع"

المنظم من طرفه كلية التربية الأساسية - جامعة الكوفة

قسم رياض الأطفال

المنعقد يومي: 15-14/10/2021

عنوان المداخلة:

**قيم القرآن الكريم في تنمية الطفولة**

**وأثرها في تهذيب النفس وتعديل السلوك**

د. مسعي محمد السعيد

جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي - الجزائر

البريد الإلكتروني:

mesai-mohammed-said@univ-eloued.dz

محور الدراسة :

الشريعة الإسلامية والطب

لا جرم أن القرآن الكريم أعطى أهمية بالغة في تربية الأطفال، وعناية قصوى في تنمية ذواتهم وتربية أرواحهم وفق ما اقتضت عليه طبيعة إعمار الكون ولما نصت عليه النصوص المستوحاة من فيض الوحي الإلهي، ولخير دليل على ذلك نشأة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام منذ الولادة حتى مبلغ الرسالة إلى سدره المنتهى، وكل ذلك كان في سيرتهم واقعا مشهودا، فتنمية الطفل وتهذيب نفسه من أهم المواضيع المطروحة في زمن، وما من أحد على وجه البسيطة إلا ومر بهذه المرحلة وفيها يكتسب الطفل الصفات، وفيها أيضا يكون المعترك بين الأخلاق الحسنة والأخلاق المذمومة، ومن أجل هذا دعت كل النصوص إلى الحفاظ على أمانة الطفولة وتحليتهم بالمشارب الإيمانية وتغذية أرواحهم وإشباعها بشتى القيم الروحية المستوصى بها في القرآن والسنة.

## Summary

Undoubtedly, the Quran has placed great importance on the upbringing of children, with utmost care in developing their personalities and nurturing their souls according to the dictates of the universe's creation and the inspired texts emanating from the divine revelation. A prime example of this is the upbringing of the prophets and messengers, peace be upon them, from birth until the delivery of the message to the farthest extent. All of this was evident in their documented lives. The development and refinement of the child's character are among the most critical topics of discussion in any era. Every individual inevitably goes through this stage, during which the child acquires virtues and faces the struggle between commendable and blameworthy ethics. Therefore, all texts urge the preservation of childhood innocence and adornment with faith-based principles, nurturing their souls with various spiritual values recommended in the Quran and Sunnah.

## "قيم القرآن الكريم في تنمية الطفولة وأثرها في تهذيب النفس وتعديل السلوك"

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على من أرسله بالهدى ودين الحق رحمة للعالمين سيدنا محمد النبي الأمي الطاهر الزكي وعلى آله ومن اتبع هديه إلى يوم الدين أما بعد:

سيداتي سادتي الحضور سعادة اللجنة الموقرة القائمة على إشراف المؤتمر الدولي وإخراجه في أحسن حلة من العرض والتقديم إنه لمن دواعي المحبة والشرف العظيم أن يجمعني القدر وإياكم في ظل رحاب التكنولوجيا الحديثة ضمن المشاركة في فعاليات المؤتمر الدولي الموسوم بـ: "سيكولوجيا الطفولة والابداع"، وضمن هذا الأخير جاءت مداخلتني على النحو التالي: "قيم القرآن الكريم في تنمية الطفولة وأثرها في تهذيب النفس وتعديل السلوك".

لا جرم أن القرآن الكريم أعطى أهمية بالغة في تربية الأطفال، وعناية قصوى في تنمية ذواتهم وتربية أرواحهم وفق ما اقتضت عليه طبيعة إعمار الكون ولما نصت عليه النصوص المستوحاة من فيض الوحي الإلهي، ولخير دليل على ذلك نشأة الأنبياء والرسول عليهم الصلاة والسلام منذ الولادة حتى مبلغ الرسالة إلى سدرة المنتهى، وكل ذلك كان في سيرتهم واقعا مشهودا، فتنمية الطفل وتهذيب نفسه من أهم المواضيع المطروحة في زمن، وما من أحد على وجه البسيطة إلا ومر بهذه المرحلة وفيها يكتسب الطفل الصفاة، وفيها أيضا يكون المعترك بين الأخلاق الحسنة والأخلاق المذمومة، ومن أجل هذا دعت كل النصوص إلى الحفاظ على أمانة الطفولة وتحليتهم بالمشارب الإيمانية وتغذية أرواحهم وإشباعها بشتى القيم الروحية المستوصى بها في القرآن والسنة.

وقد جاءت القيم الروحية في القرآن الكريم بمثابة المحور الأساسي التي تدور عليه جميع أفلاك النفس البشرية لتهذيبها وتعديل سلوكها وفق ما اقتضى عليه الأمر الإلهي، ولقد استيقنت في الأزل أنه لا مخرج من شتى محن الحياة ومتغيراتها الاجتماعية وعواصف المحن العابرة التي (لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ) إلا بالرجوع إلى ما فطرت عليه منذ الخليقة الأولى والامتثال لأمر الله حينما اشهدهم على أنفسهم في القدر المحتم قال تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٥٠﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ

بَعْدِهِمْ أَفْتُهُلِكُنَّا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ<sup>(1)</sup>، ومن السنة المطهرة عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يمجِّسانِهِ، كَمَثَلِ الْبَهِيمَةِ تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ»<sup>(2)</sup>

وفي هذا السياق فالقرآن الكريم لم يترك صغيرة ولا كبيرة في شأن الخلق والمخلوقات إلا وجعل لها نصيب من المناهج الربانية، وذلك في كيفية التعامل معها وفق ضوابط شرعية لتكون ضابطا بين الفرد وقوانين الحياة، وفي هذا أرسى صلى الله عليه وآله وسلم أسس وقواعد متينة في بناء الفرد والمجتمع انطلاقا من النشأة الأولى للأولاد حتى مرحلة التكليف، إلا أنه خص جانب كبير لمبدأ التربية وتنمية الطفولة منذ النشأة الأولى حيث بدأ بتحليلتهم بحب الإسلام وأركان الإيمان، فشرع لهم ما من التكليف الشرعية ما يتناسب مع فوارق السن العمرية عندهم، ولخير دليل على ذلك تعليمهم الصلاة ضمن السبعة الأولى من حياتهم فأخذ يعلمهم إياها على أنها الحافظ الأمين لقلب الإنسان والحصن المانع من أفعال المنكر والأخلاق المحذورة، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ وَفَرَّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ»<sup>(3)</sup>، ليواكبوا مجرى التفاعل الإيجابي مع روح السنن الكونية وأسرارها المودعة في عالم الحياة الدنيا.

ومن حكمة التشريع الإلهي أن أمر الصلاة للرجل لم ينتهي في المسجد فحسب بل جعل له نصيبا من صلاته في بيته، وذلك ليعلم أبنائه إياها ويتأثروا بها، عن أبي سفيان، عن جابر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا قضى أحدكم الصلاة في مسجده، فليجعل لبيته نصيبا من صلاته، فإن الله جاعل في بيته من صلاته خيرا»<sup>(4)</sup>، وكانت الصلاة هنا كنموذج حي تشترك فيه جميع أركان الإسلام باعتبارها الوسيلة التي تربط الطفل ربه منذ

1- سورة الأعراف الآية 172، 173.

2- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، رقم الحديث: 1385، (دار ابن كثير، دمشق-بيروت، 2002م)، ص334.

3- رواه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، رقم الحديث: 495، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصر، صيدا، بيروت، ج1، ص133.

4- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في بيته، وجوازها في المسجد، رقم الحديث: 778، ()، ص539.

نعومة أظافره وتنعكس إيجابا عليه مدى الحياة، ومن أجل هذا أكثر القرآن الكريم من الدعوة إلى الصلاة لكي يكون العبد موصولاً دائماً أبداً بربه ما تعاقب الليل والنهار.

ومن أكبر شواهد العناية الإلهية في تنمية الطفولة والاهتمام بهم في مطلع نشأتهم أن الحق تبارك وتعالى أوصى في نصوص الوحي الإلهي بأن نعني بالأولاد عناية كما رسمها الحق تبارك وتعالى في محكم التنزيل فلم يزل قائلاً عليماً وآمراً حكيماً قال تعالى: (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا) وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا<sup>5</sup>) وكل هذا كان من وصايا الحق تبارك وتعالى.

ولم يكتفى المولى تبارك وتعالى ضمن الوصايا القرآنية بالحد من ارتكاب جريمة قتل الأولاد وإهانتهم، بل تعدى حكمه إلى معالجة والقضاء على آفة الفساد الخلقي والمتمثل في ظاهرة الزنا (جل الله أسماكم) فسد الذريعة أمام من سؤلت له نفسه فعل ذلك، وما هذا إلا تجسيدا للمحافظة على أمانة الطفولة التي استودعها الحق إلينا.

كما حافظ الشارع على ديناميكية حياة الطفل في الجانب الاجتماعي والاقتصادي وعزز مكانته وحصان كرامته فقال عز من قائل: (وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا)، كل ذلك ليست تعابير إنشائية أو محسنات لغوية بل هي أحكام تشريعية استوصى بها الله عبادة ولمن كان له قلب وعقل راجح وبصيرة ثاقبة.

وفي سياق تهذيب النفس وتعديل السلوك فقد جاءت جل الآيات القرآنية تدعو إلى هذا المبدأ العظيم سواء على دائرة الأحكام التكليفية أم على سواء دائرة فروعها، باعتبار هذه القيم ما هي إلا ضابطة للنفس لتسمو بها أعلى المرتب وأرقى الدرجات، وعلى إثر ذلك جاءت سيرة حياته صلى الله عليه وآله وسلم خير ترجمة حرفية لقيم القرآن الكريم وأحسن تفسيراً عملياً لأوامره؛ ليكون بذلك أثراً بالغا ومشهوداً لمن أراد الفوز بالدارين ولمن أراد أن

<sup>5</sup> - سورة الإسراء الآية 31-34.

يحي حياة طيبة، وعليه فقيم القرآن كلها تجسدت في سيرته منذ صباه ليكون لمن بعد صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة في القول والعمل.

إن الله تبارك وتعالى حينما أراد نشأة الكون وإعمارها ارتضت مشيئته في أزلية القدر أن يكون للحياة الدنيا منهجا كفيلا بإسعاد المرء في الدنيا والفوز بالآخرة والنجاة من جميع المحن، فأنزل إلينا كتاب لا يتخلله النقص والخطأ مبرئاً من جميع صفات النقص، وأرسل إلينا رسولا لكي يجسد على أرض الواقع قيم الإسلام وأحكامه الشرعية بداية بمرحلة الطفولة، وكانت لهذه الأخيرة أثرا كبيرا في تنمية الذات وتهذيبها وتعديل سلوكها.

وفي الأخير سادتي معالي لجنة المؤتمر ما يسعني إلا أن أتوجه إلى الله الواحد الأحد أن يجعلني وأياكم رمزا للهداية والثراء العلمي وأن ينظر إلينا جميعا بوسع رحمته وعظيم مننه وأن يجعلكم خير خلف لما يحبه الله ويرضاه في أعمال البر والإحسان وخدمة العلم وأهله لخير سلف عرفته البشرية قاطبة.

وصلى الله وسلم وبارك على أجمل وأحسن مخلوق مشى على وجه الأرض سيدنا ومولانا وقرّة أعيننا وبهجة صدورنا النبي الأمي وعلى آله ومن اقتفى بهديه إلى يوم الدين والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.